

## اسرائيل في ازمة الخليج (٢)

### الموقف من الأردن

#### رندة شرارة

أثار موقف الأردن من تطورات الأزمة في الخليج قلقاً واهتماماً كبيرين في الأوساط الاسرائيلية الرسمية والعامية. وإذا كان الحكم في اسرائيل التزم طلب الادارة الأميركية عدم التورط في النزاع الدائر، وعدم الانجرار الى مواجهة عسكرية مع العراق، واتّباع سياسة "البقاء في الظل"، فالموقف الاسرائيلي من التطورات في الأردن واضح وقاطع. فقد أعلن الاسرائيليون منذ بداية الأزمة ان دخول اية قوات عراقية الأردن معناه شن الحرب على اسرائيل. وإذا كان الاسرائيليون في موقفهم هذا لم يشذوا عن استراتيجية تقليدية معروفة لديهم منذ أيام بن - غوريون، فان الوضع الحالي للأردن يعطي هذا الكلام اهمية من نوع مختلف، وذلك لجملة معطيات أهمها:

**أولاً:** شعور الأردن بأنه مستبعد عن مشاريع التسوية السياسية والحلول المقترحة لحل النزاع في المنطقة، وذلك عقب فك الارتباط بالضفة سنة ١٩٨٨ بعد نشوب الانتفاضة. من هنا، فوقوف الأردن مع العراق لا يجعله يخسر شيئاً على هذا الصعيد.

**ثانياً:** خوف المسؤولين الأردنيين من تزايد الكلام الاسرائيلي عن الأردن كدولة بديلة للفلسطينيين ومن تزايد الكلام عن "فلسطنة" الأردن، ولا سيما بعد تأليف حكومة يمينية ضمت وزراء دعوا الى هذه الفكرة، أمثال شمير وشارون، وهجرة كثيفة من الاتحاد السوفياتي ترافقت مع تصريحات عن الحاجة الى "اسرائيل كبرى"، لاستيعابها.

**ثالثاً:** الضغوطات الداخلية التي يتعرض الأردن لها نتيجة الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعانيها البلاد منذ عامين، بالإضافة الى صعود نفوذ التيارات الأصولية الاسلامية في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، وعودة النشاط الفلسطيني الى الأردن في ظل مسار إعادة الديمقراطية وحرية العمل السياسي الذي أعلنه الحكم الأردني منذ عام.

**رابعاً:** ازدياد التقارب العراقي - الأردني والتعاون العسكري بين البلدين.

في ضوء هذه المعطيات وغيرها، ارتسم موقف اسرائيلي رسمي ظاهري يحذر الأردن من مخاطر تأييده للعراق، لكنه يؤيد بقاء حكم الملك حسين واستمراره في هذا البلد؛ في حين عكست التعليقات والتحليلات الصحافية جدلاً يدور في أوساط سياسية عدّة بشأن إمكان استغلال الأوضاع الحالية للمنطقة وحالة عدم الاستقرار التي يعيشها الأردن، لحل المشكلة الفلسطينية وتحويل الأردن الى وطن بديل للفلسطينيين.

### الموقف الرسمي: تحذيرات و"خطوط حمراء"

سعى الحكم في إسرائيل لتحديد موقفه من مسألتين أساسيتين: دخول قوات عراقية أراضي الأردن، وإمكان استخدام العراق ميناء العقبة الأردني وسيلة لفك الحصار البحري المفروض عليه. فاعتبر وزير الدفاع موشيه أرنس دخول الجيش العراقي الأردن بمثابة "تغيير جيو - استراتيجي ستتحرك إسرائيل مباشرة للحوول دونه"،<sup>(1)</sup> أو بمثابة خط أحمر لا يجوز للأردن اختراقه. وما لبث رئيس الحكومة شمير ان وجه تحذيرا واضحا حين قال في حفلة تخريج طلاب في كلية الأمن القومي: "نأمل بأن تتصرف حكومة الأردن بشكل حذر، وألا تنساق وراء مغامرات حاكم العراق".<sup>(2)</sup>

اما وزير الخارجية دافيد ليفي، فوصف تأييد الملك حسين للعراق بأنه "كالمسير على حبل دقيق"، واتهم الملك بتضليل الولايات المتحدة والدول الغربية ومصر. وقال: "أمل بأن تتغلب الحكمة ويقتنع الملك بالمسير على الطريق الذي تؤمن له ولشعبه السلام والتقدم والعيش في جوار طيب معنا". وعلق على كلام الملك بأنه لن يسمح بدخول جيوش غريبة أراضيها، بأن هذا الكلام يجب ان يترافق مع خط سياسي واضح معادٍ للعدوان العراقي.<sup>(3)</sup>

وعلى الرغم من هذه التحذيرات، فقد طرح الاسرائيليون تساؤلات بشأن مغزى الخط الأحمر الذي وضعه أرنس، والرد الاسرائيلي على خرقه. فتساءل المعلق العسكري في صحيفة "هآرتس" زئيف شيف: "ما هو الانتشار العسكري العراقي في الأردن الذي ستعتبره إسرائيل خرقا للخط الأحمر؟ وهل مثلا وجود ضباط عراقيين في محطات الرادار الأردنية معناه خرق للخط الأحمر؟ وهل إقامة شبكة اتصالات عراقية في المستقبل تفرض على إسرائيل ان تتحرك، ام ان دخول قوات كبيرة للجيش العراقي هو فقط الدافع الى هذا التحرك؟ وهل معنى الخط الأحمر ان القوات الاسرائيلية سترد مباشرة على دخول قوات عراقية الأردن؟"<sup>(4)</sup> لم يقدم المسؤولون اجوبة عن ذلك، وإنما ورد في تحذير جديد أطلقه أرنس أنه إذا سمح الأردن للجيش العراقي بدخول أراضيها، فاسرائيل "ستستخدم القوة فورا. ويبدو لي انهم في بغداد يعرفون ذلك جيدا".<sup>(5)</sup>

في إثر الحصار البحري الذي فرض على العراق، حذرت إسرائيل الأردن من انتهاك هذا الحصار وتسهيل نقل البضائع منه واليه عبر خليج العقبة. فجاء على لسان نائب رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست بنيامين بن - أليعيزر في مقابلة مع التلفزيون الاسرائيلي كلامه: "علينا ان ندرك أبعاد استمرار هذه الطريق مفتوحة. فاذا كانت للعراق اليد الطولى، فستكون

(2) "يديعوت أحرونوت"، ١٠/٨/١٩٩٠.

(3) "هآرتس"، ١٤/٨/١٩٩٠.

(4) المصدر نفسه، ٨/٨/١٩٩٠.

(5) "معاريف"، ١٦/٨/١٩٩٠.

المرحلة التالية مواجهة مباشرة مع اسرائيل. "واعتبر بن - أليعيزر ان الأردن تحول بواسطة مرفئه الى المزود والعميل التجاري الوحيد للعراق، وصار بالتالي "فرعا عراقيا". وحذر من ان اسرائيل لا يمكن ان تتساهل في وضع كهذا.<sup>(6)</sup>

لكن وزير الدفاع أرنس ما لبث ان حدد موقف بلده بصورة اوضح اذ قال: "ليس لاسرائيل علاقة، وهي لن تشارك في فرض الحصار البحري الذي أعلنته الولايات المتحدة على العراق. ليس لدينا اي سبب يدفعنا الى التدخل في هذه المرحلة، ونحن نأمل بالألا نضطر الى القيام بذلك."<sup>(7)</sup> وكأنا أريد أرنس الحؤول دون انزلاق بلده الى مواجهة عسكرية لا يختارها هو ولا يتحكم في توقيتها وكيفيةها. وهو من ناحية اخرى يكشف ان دور اسرائيل في التحرك الذي تقوم الولايات المتحدة به في المنطقة لا يتعدى دور المراقب والمتتبع عن كذب لمجريات الأحداث من دون ان يكون لدولته مساهمة عملية في التحرك الدولي الجاري.

واستغل أرنس مناسبة الكلام عن ذلك ليشير الى ان اسرائيل تأمل بالألا يفقد الملك حسين مملكته نتيجة القلاقل في الأردن: "فالوضع دقيق في المنطقة، وهناك شعور بعدم الاستقرار. وهناك دلائل عدة على هذه الحقيقة في الأردن بصورة خاصة." لكنه أضاف: "نأمل بالألا يكون هناك تغيير للأنظمة، وثورات في المنطقة."<sup>(8)</sup>

ويلاحظ المتتبع للتصريحات الاسرائيلية الرسمية بشأن الأردن أنها بدأت، عقب زيارة الملك حسين الى واشنطن في ١٤ آب/أغسطس، تتطرق بصورة أكثر وضوحا الى المواقف تجاه ضرورة بقاء النظام الملكي في الأردن واستقرار العائلة الهاشمية في العرش. وليس مصادفة ان يصرح رئيس الحكومة، شمير، في لقاء عقده مع السيناتور الأميركي فرانك لوتبرغ ان "لإسرائيل مصلحة واضحة في استمرار استقرار حكم الملك حسين، وحتى الآن، ليست هناك دلائل تشير الى سقوط هذا الحكم."<sup>(9)</sup> وليس مصادفة، أيضا، ان يعود شمير بعد ذلك يوم واحد ليؤكد عبر التلفزيون الاسرائيلي ان اسرائيل "مهتمة بأن يبقى الأردن بلدا مستقرا وصلبا، وان يحتفظ الملك حسين بعرشه وتبقى السيطرة له، وألا تصل اليها هذه الحرب عن طريق الأردن."<sup>(10)</sup>

ان هذا الاعلان بشأن الخوف الاسرائيلي الرسمي على النظام الهاشمي في الأردن يتناقض والنيات الاسرائيلية الطيبة تجاه استمرار هذا النظام واستقراره مع بعض ما تنقله الصحف عن مصادر حكومية رفيعة المستوى. إذ نقل أفنر راجيف عن مصادر رفيعة في الحكم لم يكشف النقاب

(6) "النهار"، ١٤/٨/١٩٩٠.

(7) "دافار"، ١٥/٨/١٩٩٠.

(8) المصدر نفسه.

(9) المصدر نفسه، ٢٢/٨/١٩٩٠.

(10) نقلا عن "يديعوت أحرونوت"، ٢٣/٨/١٩٩٠.

عنها ان هناك رأياً في الحكومة يقول بأن على اسرائيل ألا تقدم على حماية الملك حسين وألا تساعده في الحفاظ على عرشه في حال قرر شعب الأردن، الذي هو في أغلبيته من الفلسطينيين، التحرك لتغيير نظام الحكم من دون مساعدة خارجية من العراق او منظمة التحرير. وذلك على عكس ما فعلته اسرائيل في أثناء أحداث أيلول/سبتمبر في الأردن سنة ١٩٧٠، عندما وضعت قواتها في حالة تأهب لمواجهة غزو سوري للأردن من شأنه ان يعرض حكم العائلة الهاشمية للخطر. ويشير كاتب التقرير الى ان وزراء مهمين من مقرري سياسة الحكومة لا يزالون يفضلون بقاء الملك.<sup>(11)</sup>

وإن دل هذا الكلام على شيء فانه يدل بوضوح على ان ثمة جدلاً يدور في المستوى الحكومي بشأن السياسة الاسرائيلية المفترض اتباعها إزاء اي تغيير قد يحدث في الأردن. وقبل الانتقال الى عرض جوانب هذا الجدل، هناك السؤال المطروح: ما الذي يجري على الجبهة العسكرية مع الأردن؟

### موقف القيادة العسكرية: متابعة، وترقب، وتكتم

على الرغم من المخاوف الجدية التي أثارها التعاون العسكري بين العراق والأردن، فقد حافظت القيادة العسكرية الاسرائيلية على هدوئها الذي قارب الصمت أحياناً. ولقد تقيدت وسائل الاعلام الاسرائيلية بهذا الموقف. فعندما سئل وزير الدفاع عما إذا كانت اسرائيل قد استقدمت قوات إضافية الى الحدود مع الأردن، أجاب بأن الجيش الاسرائيلي يفعل ما من شأنه ضمان امن الدولة.<sup>(12)</sup> ونفى مصدر عسكري اسرائيلي رفيع المستوى التعليق على أنباء تناقلتها مصادر اجنبية بشأن قيام الجيش الاسرائيلي بنقل بطاريات صواريخ "هوك" الى الحدود مع الأردن لزيادة طاقة سلاحه الجوي. وذكرت المصادر نفسها ان قيادة الجيش منعت عدداً من الضباط الكبار من السفر الى الخارج.<sup>(13)</sup>

وكانت الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية قد رفعت تقارير تحدثت فيها عن زيارات الى الحدود الفاصلة بين اسرائيل والأردن يقوم بها ضباط كبار في الجيش العراقي. ومع ذلك، فان هذه الزيارات لم تكن باعثاً على القلق في أوساط القيادة العسكرية. فالأكثر مدعاة الى القلق هو الطلعات الجوية المشتركة للطيارين الأردنيين والعراقيين، وسماع الأردن للطيارين العراقيين بالتحليق فوق طول الحدود مع اسرائيل.<sup>(14)</sup>

(11) "عال همشمار"، ١٩٩٠/٨/٢٧.

(12) "هآرتس"، ١٩٩٠/٨/١٣.

(13) "دافار"، ١٩٩٠/٨/١٢.

(14) نقلاً عن زئيف شيف، "هآرتس"، ١٩٩٠/٨/٨.

ونقلت صحيفة *The Washington Post* الأميركية عن مصادر استخباراتية اسرائيلية ان هناك طلعات يومية لسلاح الجو الأردني على الحدود بين الأردن واسرائيل والسعودية، وأن الأردنيين ينقلون معلوماتهم الاستطلاعية الى العراقيين. كما ذكرت الصحيفة نقلا عن المصادر نفسها ان الجيش الأردني أقام شبكة دفاع جوي على حدوده مع اسرائيل، وأن الجيش الأردني وضع في حالة تأهب استعدادا لإمكان حدوث مواجهة عسكرية.<sup>(15)</sup>

ومهما تكن السياسة الاعلامية العسكرية المتبعة في اسرائيل حاليا، فالمؤكد ان خطر حدوث مواجهة عسكرية قد خلق وضعاً جديداً داخل الجيش الاسرائيلي، الذي وُضع في حالة تأهب، على حد قول رئيس الأركان الجنرال دان شومرون، الذي قال في أثناء مؤتمر صحافي عقده مع المرسلين العسكريين بمناسبة رأس السنة العبرية ان حالة التعاون بين العراق والأردن "رفعت درجة التأهب في الجيش الاسرائيلي ولو بصورة شكلية - وذلك في ثلاثة مجالات أساسية: الاستخبارات، وسلاح الجو، والجبهة الخلفية."<sup>(16)</sup> وتطرق شومرون الى موضوع، "الخط الأحمر" الذي وضعت اسرائيل للأردن. وأوضح ان اختراق هذا الخط لا يؤدي تلقائياً الى تحرك عسكري اسرائيلي، وإنما سيخضع الموضوع لفحص ودراسة متأنين وستجري مناقشة الوضع انطلاقاً من وجهات نظر مختلفة. لكن كل هذا لا يغير في الأساس، وهو أن الخط الأحمر حقيقة واقعة، وان ادخاله في الاعتبارات كافة امر ضروري.

وكل ما يمكن قوله على الصعيد ان القيادة العسكرية الاسرائيلية تتابع عن كثب ما يحدث على الجبهة الأردنية تحسباً لأيّة مواجهة عسكرية.

### "الأردن هو فلسطين" فكرة ام "خطة" تنتظر التنفيذ؟

قد يكون من أخطر انعكاسات أزمة الخليج الانعكاسات المتعلقة بمصير الأردن ومستقبل الفلسطينيين من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة. فقلد احييت الأزمة الجدل من جديد بشأن "الأردن هو فلسطين". وعاد الشعار الذي تبناه اليمين الاسرائيلي من دعاة "ارض اسرائيل الكاملة" ليبرز على لسان المسؤولين الاسرائيليين، مثيراً مخاوف محقة في عمان.

مع بداية الكلام على التعاون العسكري الأردني العراقي، قبل نشوب أزمة الخليج ببضعة شهور، كتب زئيف شيف: "هناك بعض الأطراف الاسرائيلية التي تخطط لإحداث تغيير في الأردن لحل المشكلة الفلسطينية. ويخشى الملك حسين وجود خطة اسرائيلية لتحويل الأردن الى دولة فلسطينية، كما يخشى وجود مخطط لإبعاد الفلسطينيين من المناطق الى الأردن نتيجة فشل اسرائيل في قمع الانتفاضة. لكن ثمة خطأ رقيقاً إذا تجاوزه الملك، فسيُعتبر تجاوزه - من وجهة

(15) "دافار"، ٢٩/٨/١٩٩٠.

(16) "هآرتس"، ١٧/٩/١٩٩٠.

نظر اسرائيل - كمن ينتقل من حالة الدفاع الى حالة الهجوم. هذا الخط هو السماح لقوات عراقية، جوية او برية، بالانتشار في الأردن في مواجهة اسرائيل.<sup>(17)</sup>

في ضوء هذا الكلام، فان السؤال الذي يطرح نفسه اليوم هو: هل تفكر اسرائيل في ان الوضع الحالي ملائم لتحقيق "فلسطنة" الأردن وحل المشكلة الفلسطينية حلا نهائيا عن طريق تغيير النظام الملكي وإقامة دولة فلسطينية في الأردن؟ والى اي حد يحظى شعار "فلسطين هو الأردن" بتأييد التيارات الاسرائيلية المختلفة، بحيث يمكن ان يتحول من مجرد "فكرة" للنقاش الى خطة "للتنفيذ"؟

### اليمن الاسرائيلي و"فلسطنة" الأردن

ان تحويل الأردن الى دولة للفلسطينيين فكرة آمن زعماء حركة حيروت بها منذ فترة طويلة.<sup>(18)</sup> ومن كبار المتحمسين لها والداعين اليها أريئيل شارون وزير الاسكان، بالإضافة الى شمير نفسه وأرنس، وعدد آخر من وزراء الحكومة الحالية. ففي سنة ١٩٧٠ دعا شارون في أثناء أحداث أيلول/سبتمبر في الأردن الى مساعدة الفلسطينيين في إسقاط نظام الملك حسين والتفاوض معهم. ثم عاد سنة ١٩٧٤ ليعلن من جديد ان ثمة مجالا لمساعدة الفلسطينيين في إزاحة الملك حسين وإقامة دولة فلسطينية في الأردن. وفي سنة ١٩٧٦، رأى شارون ان في الامكان استغلال الحرب الأهلية في لبنان لبدء محادثات مع الفلسطينيين. وفي رأي الباحثين شاي فيلدمان وهيدا ريشنتز - كيجنر انه الى جانب الأهداف الأربعة المعلنة لحرب "سلامة الجليل" التي خاضها شارون في لبنان سنة ١٩٨٢، كان هناك هدفان ضمانيان: "تسهيل إنشاء إدارة ذاتية في الضفة الغربية وقطاع غزة كما تخيلها رئيس الحكومة بيغن؛ وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط السياسية من خلال المبادأة بعملية تؤدي الى إطاحة الملك حسين وإنشاء دولة فلسطينية في الأردن."<sup>(19)</sup> وكان شارون يرى ان اسرائيل أمام خطرين: خطر نشوء دولة فلسطينية في الأردن؛ وخطر إبقاء المشكلة الفلسطينية معلقة من دون حل. وقال انه يفضل الخطر الأول على الثاني.

واليوم، إذا حاولنا تتبع مواقف شارون وكتاباتاته في هذا الشأن، نلاحظ انه يلتزم كثيرا من التكتم والابهام. وفي آخر اشارة الى الموضوع، اكتفى شارون بصيغة مبهمه. إذ تحدث في احد بنود

<sup>(17)</sup> المصدر نفسه، ١٩٩٠/٢/٢٠.

<sup>(18)</sup> توم سيغف، "الاسرائيليون الأوائل - ١٩٤٩- (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦)، ص ٢٩.

<sup>(19)</sup> ورد ذلك في دراستهما التالية:

Shai Feldman & Heda Rechnitz-Kijner, *Deception, Consensus and War: Israel in Lebanon* (Tel Aviv: Tel Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies 1984).

مشروع سياسي تقدم به عن: "هدم الأسوار بين إسرائيل والأردن، وفتح نقاط عبور جديدة على الحدود أمام حركة الزوار من الطرفين، مما يؤدي الى تغيير الأجواء وتخفيف الشكوك المتبادلة."<sup>(20)</sup>

على الرغم من ذلك فإنه يمكننا القول ان فكرة "فلسطينة" الأردن قد حظيت لأول مرة بنوع من تكريس لها في حكومة شمير الحالية. إذ ورد في البند الثالث من الخطوط الأساسية للحكومة ما يلي: "تعارض إسرائيل إقامة دولة فلسطينية اخرى في قطاع غزة وفي المنطقة الواقعة بين إسرائيل ونهر الأردن." وعندما سئل يتسحاق شمير قبل اشهر عن رده على مخاوف الملك حسين من جعل مملكته دولة فلسطينية قال: "هذه ليست تخطيطات عملية وإنما مجرد أفكار." ومنذ تأليف الحكومة حتى اليوم، وبخاصة بعد نشوب أزمة الخليج والموقف الأردني من الأزمة، بعث المسؤولون الاسرائيليون بأكثر من رسالة الى الملك حسين عن طريق الولايات المتحدة، يعلنون فيها عدم وجود اية نية عدوانية تجاه الأردن، ويبدون اهتمامهم باستقرار النظام هناك.

لكن هذا لا يخفي أن السياسة المعلنة شيء وما يدور الحديث بشأنه وراء الكواليس شيء آخر. وأوضح دليل على ذلك ما ورد في مقال عضو الكنيست غيئولا كوهين (من حركة هتسيا) التي رأت ان على حكومة اسرائيل ان تعرف اليوم كيف تنتهج سياسة ليس من شأنها تطمين الأردن فقط وإنما رده أيضاً. وفي رأيها أنه في حال شنت الحرب على اسرائيل بمبادرة من الأردن او من اية دولة اخرى، وعبرت قوات عربية الأردن الى الحدود مع اسرائيل، فسيحدث التالي:

١. "ستنقل اسرائيل الى حدود الأردن - وهذا ما يتخوف الملك حسين منه - عرب (المناطق)، الذين هم في أغلبيتهم سكان الأردن، اي سكان دولة معادية لم ينجحوا حالياً في إخفاء تآييدهم وتمائلهم مع أهداف صدام حسين في القضاء على اسرائيل.

٢. لن تضيع اسرائيل هذه المرة الفرصة السياسية التي فرضها عليها أعداؤها، وهي ستطبق حقها في السيادة على يهودا والسامرة وغزة.

٣. إذا ما عبر الجيش الاسرائيلي نهر الأردن في حرب دفاعية ضد الحرب الهجومية، فإننا لن نصل الى جلعاد وبيسان كأغراب. وفي الواقع، لن يخسر الأردن الحرب فقط - كما يخشى الملك حسين - وإنما سيفقد سيطرته على المملكة أيضاً."<sup>(21)</sup>

### موقف اليسار الاسرائيلي

#### من شعار "الأردن هو فلسطين"

<sup>(20)</sup> أريئيل شارون، "حالة طوارئ"، "يديعوت أحرونوت"، ٢٥/٥/١٩٩٠.

<sup>(21)</sup> غيئولا كوهين، "حسين خائف؟ حسين على حق"، "يديعوت أحرونوت"، ٧/٩/١٩٩٠.

تاريخيا، مال زعماء حزب العمل منذ أيام مباي الى ايجاد صيغة للتفاهم مع النظام الأردني منذ حكم الملك عبد الله. لكن فشل المعراخ في تأليف حكومة، وتعتز مشروع السلام، واستمرار الانتفاضة، ووصول التسوية السلمية الى طريق مسدود، كل هذا ادى الى تطور مسارات جديدة داخل هذا المعسكر تجاه فكرة "فلسطينة" الأردن.

كتب يوسف ألفير،<sup>(22)</sup> نائب رئيس مركز الأبحاث الاستراتيجية، يقول: "منذ فترة تعتبر صيغة (الأردن هو فلسطين) بمثابة شعار شعائري خلاب لليمين الاسرائيلي... وفي الآونة الأخيرة، بدأت أيضا عناصر في اليسار الاسرائيلي (اي أولئك المنادون بحل وسط إقليمي) بتبني شعار (الأردن هو فلسطين). ويقوم احد مؤيدي حزب العمل، وهو شخص ذو ماض امني عظيم، بالدفاع عن وجهة النظر هذه منذ نحو عام. وقبل بضعة اشهر، انضم الى هذا التيار البروفيسور يحزقيئيل درور، المستشار الأسبق لشمعون بيرس في فترة توليه منصب وزير الدفاع. ومنذ فترة غير بعيدة - أيضا - عقد في القدس اجتماع لمنظمة تدعى (الأردن هو فلسطين). ويبدو ان الدافع الأساسي لتزايد انصار وجهة النظر هذه ومؤيديها هو الانتفاضة. ويعتبر الاستعداد للتمسك بشعار (الأردن هو فلسطين) بمثابة (حل سحري لليائسين)"، على حد قول ألفير الذي أضاف قائلا: "يجب ان نذكر هنا انه ليس كل الاسرائيليين الذين ينادون بهذا الشعار يقصد الهدف ذاته. فاليمين الاسرائيلي يريد، في إثر ظهور دولة فلسطينية بدلا من المملكة الأردنية، ضم يهودا والسامرة وغزة. وحينئذ، سيقترح جزء من اليمين ان تعطي الدولة الفلسطينية الجديدة حقوق مواطنة جزئية - او كاملة - للفلسطينيين (التابعين لنا) [اي فلسطينيو الضفة والقطاع] وربما لعرب اسرائيل أيضا. وبذلك (يحل) لنا المأزق الديموغرافي المترتب على الضم البشري. لكن جزء آخر من اليمين سيرى في ظهور دولة فلسطينية في الضفة الشرقية فرصة لتنفيذ (الترحيل) لعرب يهودا والسامرة وغزة. لكن أنصار (الأردن هو فلسطين) في اليسار الاسرائيلي لا يفكرون على هذا النحو. انهم مخلصون لاستعداد اليسار لمقايسة مناطق بالسلام؛ كما يتعهد اليساريون باجراء مفاوضات بشأن مستقبل يهودا والسامرة وغزة، مع السلطة الفلسطينية الجديدة عندما تستقر في عمان. وعلى حد قول مؤيد يساري آخر هو البروفسور شلومو أفنيري: (إذا سيطر الفلسطينيون على ما وراء نهر الأردن، ربما سيكون من الأسهل التوصل الى تفاهم فيما يتعلق بانسحاب اسرائيل من الضفة الغربية). وهم يؤكدون ان من الواجب ان تمتنع اسرائيل - حاليا - من القيام بأي عمل في المناطق، مثل إبرام اتفاق مع الفلسطينيين، وهو الأمر الذي من شأنه إرجاء او إفساد هذا الحل عندما يتحقق".

(22) (الأردن هو فلسطين) - مقاومة خطرة وباهظة الثمن، "دافار"، ٢٩/٦/١٩٩٠.



من جهة اخرى، كان يحزقيئيل درور قد تحدث في نقاشه عن الحلول الممكنة للمشكلة الفلسطينية<sup>(23)</sup> تحت عنوان "مخطط رقم ٩" عن دولة فلسطينية في الأردن، وسيطرة اسرائيلية على كل يهودا والسامرة ومنطقة غزة: "من أجل القيام بمحاولة اخرى للتفكير في سياق تاريخي، يمكن ان نسأل عما كان سيحدث لو تدخلت اسرائيل، في أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، في ما حدث في الأردن، وأوقفت المذبحة... وأسقطت نظام الحكم، وساعدت في إقامة دولة فلسطينية في الأردن، وطبقت القانون الاسرائيلي على كل يهودا والسامرة ومنطقة غزة، ودمجتها دمجا كاملا في اسرائيل، من خلال التوصل الى تسوية مع الدولة الفلسطينية في الأردن تنص على ان السكان العرب في أراضي يهودا والسامرة وغزة يعيشون في نظام أشبه بـ (تقسيم وظيفي)، وتكفل حقوق المواطن السياسية في الدولة الفلسطينية في الأردن لمن يرغبون في ذلك... ربما كان هذا كله سيتم أيضا عن طريق نقل جزء من السكان العرب في يهودا والسامرة وغزة الى الدولة الفلسطينية الجديدة في الأردن عن طريق الاقناع الشديد ومن خلال منح تعويض مالي ملائم\* ... هناك شيء واضح: ما كان ممكنا ان يكون نافعا سنة ١٩٧٠ لم يعد ممكنا سنة ١٩٨٩... إلا في حالة استثنائية افتراضية واحدة، وهي نقل أعداد كبيرة من السكان العرب في يهودا والسامرة وغزة الى الدولة الفلسطينية - الأردنية. لكن هذا الحل لا تسمح الأوضاع المتوقعة به من الناحيتين العملية والمبدئية في آن واحد." وعلى الرغم من ان درور قد كتب ما كتبه قبل وقوع أزمة الخليج وأثرها في الوضع في الأردن، فهو لم يتردد في الاشارة الى إمكان تحقيق ما سبق، وذلك "بانتهاز فرصة من نوع تقويض النظام الأردني من الداخل، وتشجيع ومؤازرة مبادرة فلسطينية، وربما أيضا القيام بعمل اسرائيلي مباشر في أوضاع معينة - كل ذلك يجسد إمكان تحويل الأردن الى دولة فلسطينية. وينبغي ان تعتمد هذه الخطوات على اتفاق مسبق مع عنصر فلسطيني ذي قدرة على العمل، على ان ينص هذا الاتفاق على تسويات موقته في يهودا والسامرة وغزة، وعلى شراكة مع هذا العنصر في التنفيذ."<sup>(24)</sup> وبكلام آخر، يقترح درور "مؤامرة اسرائيلية - فلسطينية" على نظام الملك حسين، يتعهد فيها الطرف الفلسطيني - مسبقا - بحلول وسط إقليمية تتطابق مع مفاهيم اليسار الاسرائيلي ووجهات نظرة في هذا المجال. والملاحظ ان البروفسور درور يقترح حرفيا ما سبق ان اقترحه شارون سنة ١٩٧٠، مع تعديلات شكلية، وما تردد من ان اوساطا حاالية في الحكم تبحث في إمكان حدوثه.

(23) في كتابه بعنوان: "استراتيجية شاملة لاسرائيل" (القدس: أكدمون، الجامعة العبرية، ١٩٨٩).

\* التشديد من عندنا.

(24) "استراتيجية شاملة لاسرائيل"، مصدر سبق ذكره.

## موقف الصحافة الاسرائيلية من "الأردن هو فلسطين"

ان المعلقين الاسرائيليين يُجمعون في تحليلهم لموقف الأردن من أزمة الخليج على ان خوف الملك حسين من شعار "الأردن هو فلسطين"، الذي كرره زعماء الليكود في الفترة الأخيرة، كان بين الدوافع التي جعلته يؤيد العراق. وفي الوقت الذي يقف البعض موقف اللائم من الليكود الذي تسبب بقطع "الصلة" التاريخية بالأردن<sup>(25)</sup> ويحمله مغبة النتائج الخطرة المترتبة على ذلك، مثل سيطرة المنظمة على شرق الأردن وقيام تحالف عربي فلسطيني - عراقي في مواجهتها، فان هناك من يرى ان الملك حسين قد وضع نفسه في وضع حرج لا عودة عنه. فثمة إمكان كبير الآن، حتى لو لم يخرق الأردن الخط الأحمر الموضوع أمامه، لأن تقوم اسرائيل بشيء ما ضده. ففي رأي يورام بييري ان اسرائيل قد تقرر القيام بضربة أولى، وذلك في احدي حالتين: إما خوفا من ان ينتهي النزاع الأميركي - العراقي من دون حسم قاطع مع العراق، وهو ما يترك صدام على كرسيه مع جيش ضخم يشكل خطرا مستمرا على اسرائيل حتى بعد عودة الترسانة الدولية الى مرافئها، وإما استغلالا للوضع من أجل إغلاق الموضوع في القطاع الأردني من دون ان يكون لذلك صلة بالعراق، على سبيل المثال مع الفلسطينيين والمنظمة.

وذهب بعض المعلقين الى ابعد من ذلك ورأى في عرضه للتوقعات الممكنة للأزمة على صعيد الأردن ان هذا البلد، شأنه شأن لبنان، سيدفع الثمن من وجوده. ففي رأي أفنر راجيف<sup>(26)</sup>:  
 "... ان اسرائيل على الرغم من مصلحتها في استقرار نظام الملك حسين قد تعطي موافقتها الصامتة على [حل المشكلة الفلسطينية في الأردن] مترافقة بضغط سياسي أميركي..."

وعلى الرغم من هذه التوقعات، فالمشكلة الاساسية بالنسبة الى اسرائيل ليست انهيار حكم الملك حسين، وإنما الزعامة الفلسطينية التي ستتولى حكم هذا البلد. فقد كتب راجيف<sup>(27)</sup> معلقا على ذلك: "عندما تنهار المملكة الأردنية ويفقد عرفات ضرورته، فالأرجح ان يكون هناك مجال للربط بين الإثنين، بحيث يصار الى درس إمكان إقامة زعامة فلسطينية مغايرة، تستولي على السلطة في الأردن وتعمل على تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني". وفي الامكان القول، وبشيء من السخرية، ان ثمة من يفضل اليوم في اسرائيل رؤية الملك حسين يحكم دولة فلسطينية في الأردن. هذه الثنائية المستحيلة هي المعضلة التي يواجهها قادة الدولة - فهم مستعدون لقبول دولة فلسطينية في الأردن، لكن لا بزعامة عرفات. والأميركيون عارفون بالفكرة، وسلوك الملك وعرفات يسرّع في تحضير الأميركيين لإمكان من هذا النوع..." ويخلص الكاتب الى القول: "ليس

(25) أنظر في هذا العدد مقالة: أ. شفايتسر، "الأردن - الصلة التي انقطعت"، "هآرتس"، ١٧/٨/١٩٩٠.

(26) "موتجة تتربص على الباب"، "عال همشمار"، ٢١/٨/١٩٩٠.

(27) "عال همشمار"، ٣/٩/١٩٩٠.

تحرير الكويت شأنًا من شؤون إسرائيل، لكن حل المشكلة الفلسطينية نعم، ثم نعم، والأمران مرتبطان أحدهما بالآخر، ومن الأفضل الاعتراف بذلك منذ الآن.

وسواء اخذنا بهذه التوقعات او رفضناها، يبقى سؤال أساسي: ما هي الأخطار التي تواجه النظام الأردني الآن؟ في رأي البروفسور آشرف ساسر،<sup>(28)</sup> الاختصاصي بشؤون الأردن في مركز الدراسات الاستراتيجية، ان "الوضع الحالي يندرج بخطر على النظام الأردني أكثر من سائر الأنظمة. وهذه ازمة حقيقية، لأن وضع الأردن الصعب سيزداد سوءاً أكثر فأكثر بحيث يتحول الى ازمة. نعم فالخطر قائم." وفي رأي ساسر ان مصدر الخطر على الأردن ليس اسرائيل فحسب وإنما العراق أيضاً، ففي رأيه "إذا فشل التحرك الحالي للأميركيين، ورجح صدام، فان الأردن سيكون بالتأكيد بين خطئه..."

---

(28) "دافار"، ١٥/٨/١٩٩٠.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>